البارون عمر رولف

بقلم الأستاذ إحسان سامي حقي

أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة [الهند]

مازالت نقطة الخلاف تتباعد وتتسع بين مسيحيي الغرب ومسلمي الشرق — من حيث الدين — منذ القرون الوسطى حتى اليوم ، حتى أصبح من العسير أن يتصور معها اتحادهما أو اجتماعهما في يوم من الأيام على نقطة واحدة ؛ ولكن الجهود التي بذلها أخيراً بعض المسلمين — وأخص منهم بالذكر الحامي الخواجه كمال الدين، الذي كان يدعو إلى الاسلام من غير تفريق بين ملة ونحلة أومذهب وفرقة ، بالدعاية للاسلام بالطريق العلمية في أوربا — أنتجت نتيجة حسنة وأثمرت ثمراً صالحاً ، حيث أصبحنا نرى الأوروبيين أو أكابرهم بدءوا يدخلون في الإسلام تباعاً ، وإني أذكر من هذه الكثرة ثلاثة من الشخصيات البارزة :

الأول اللورد هدلي ، والثاني خالد شيلدريك ، والثالث البارون عمر رولف . وقد جمعتني الصدف في حيدر آباد بخالد شيلدريك منذ شهرين ، فوجدت فيه حمية وتعصباً للإسلام ، ومن الغريب في هذا الرجل أنه لم يكتف بأن اعتنق الإسلام ، بل إنه قد وقف حياته للدين. قصدته وهو يقوم بالتبليغ في انكلترا ، وهذا الرجل قد اعتنق الإسلام بعد تحقيق وتدقيق منذ عشرين سنة، ولا يزال إلى يومنا هذا بنفس الحماس والعقيدة التي كان عليها يوم اعتنق الإسلام.

وبينما لا يزال خالد شيلدريك في الهند ، ، إذ بنا نسمع بقدوم البارون عمر ، وقد كان من حسن طالعي أيضاً أن اجتمعت به في عدة اجتماعات واحتفالات ودعوات أقيمت تكريماً له ، فوجدت منه أيضاً نفس ما وجدته في «خالد» من الحمية والتعصب الزائد للإسلام ، ويزيد عليه بأنه — مع ما هو عليه من غناء وسعة وبسطة في العلم والجسم — بسيط جداً جداً ، حتى إنه يرى الجلوس على الأرض خيراً من الجلوس على الكرسي ، ويفضل الأكل باليد على الأكل بالملاعق والشوك ، ويرى اللباس انفضفاض خيراً من اللباس الأوربي ، وقد استحكمت بيني وبينه الصداقة في يومين، فأصبحنا وكأننا أصدقاء منذ أعوام .

ينتمي البارون من جهة الأب إلى أسرة سكسونية عريقة في المجد ، وينتمي من جهة أمه إلى الكونت خونبورغ ، الذي يتصل بالكونت جليش . ومما يقال عن الكونت جليش أنه اشترك في الحروب الصليبية زمن الإمبراطور فريدريك الثاني ملك ألمانيا ، الذي عرف بصداقته الخالصة

للإسلام ، وتزوج من امرأة عربية إلى جانب زوجته الألمانية ، فكان من أحفادها البارون عمر.

ولد البارون عمر فى مدينة براغ فى الثامن والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠١ من أبوين كريمين ، وكان أبوه الدكتور كريستن (بارون إهرنفلز) ، يشغل منصب أستاذ الفلسفة فى الجامعة الألمانية فى براغ ، وكان محباً للعلم بجميع فروعه ، حتى إنه أصبح يعد من الأعلام فى العلوم الطبيعية ، كما أن أبحاثه الفلسفية ونظرياته فيها أصبحت قاعدة لهذا العلم ، لا فى ألمانيا فحسب ، بل فى مدارس فينا وفرانكفورت وبادوا وروما وغيرها ، وقد أشار الأستاذ إيتن أحد أساتذة جامعة كولومبيا فى كتابه المعروف (Austrian Theoryof Eaton) إلى أهمية معلومات والد البارون فى العلوم الطبيعية ، وليس هذا وحده مما أولع به وأجاده ، بل إن له بجانب اسمه إلى أئمة هذه العلوم ، اسماً فى الشعر الروائى والموسيقى وفوق ذلك أبحاثه فيما وراء الطبيعة ، ومع أن البارون كان هو الوارث الحق لرآسة عائلته فقد تنازل عن حقوقه هذه لأخيه الأصغر ، وانصرف هو بكليته إلى الفنون والعلوم الطبيعية ، فدار الزمان دورته ، ورجع الحق إلى بيت أهله حيث أعيدت رئاسة العائلة إلى ابنه البارون عمر ، لأن أخيه لم يعقب .

نشأ عمر وربى فى بيئة قد جمعت كل العلوم والفنون ، فتأثر بوالده واقتبس عنه العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، كما أنه فى الوقت نفسه استفاد من عمه - الذى كان يشغل أخيراً رئاسة الجمعية الزراعية الإمبراطورية وعضوية مجلس الشيوخ - أشياء عملية كثيرة . وقد عمد على المذهب الرومانى الكاثوليكى وربى على المذهب البروتستانتى ، إلا أنه ما كاد يبلغ العاشرة من عمره حتى رأى نفسه مندفعاً بروحه وجسمه نحو الإسلام وشعوبه ، وكان ذلك سنة ١٩١٠ حينما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب ، وسمع بما تقاسيه الشعوب الإسلامية من المظالم الأوربية . وقد تجسم هذا الشعور فيه ، حتى ظهر عليه أثناء حياته المدرسية ، ومع أن الحرب العالمية منعته من متابعة التحصيل فى الجامعات من جهة ، ومن إتمام النصاب التمرينى الزراعى الذى كان بدأه من جهة أخرى ، فقد استطاع أن يهيء نفسه ويمدها لإدارة ضياع العائلة . وفى سنة ١٩٢٣ انتخب مديراً فنياً للبعثة التى أرسلتها إحدى شركات السينما الأمريكية الألمانية (Continental Film Co New-York — Berlin) إلى البلقان وآسيا الصغرى ، فكانت هذه هى المرة الأولى التى يدخل فيها بلاداً إسلامية ، كان يحن إليها من اثنتى عشرة سنة . وفى سنة ١٩٢٧ عاد مع زوجته إلى ضياعه (diehcenau) على ضفاف الدانوب ، ولم ينقطع عن أشغاله العلمية ، بل اشتغل بالتأليف فنال صيتاً حسناً ، ومن سنة ١٩٢٨ وهو يعمل فى جريدة إسلامية ألمانية ، ولكنه لم يصدع بوجود مسجد فى برلين إلا أخيراً سنة ١٩٢٩ ، فلما بلغه ذلك اتصل بالمكاتبة بإمام المسجد الدكتور الشيخ محمد عبد الله ، وفى السنة نفسها أعلن إسلامه على يده ،

[البقية على الصفحة ٢٣٢]